بسم الله الرحمن الرحيم

وصل الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

حالة المسلمين اليوم وأزمات الأسرة المعاصرة

مقدّمة

لعل أبرز سمة تتجلى في هذا العصر، عصر التقدم والاكتشافات هي الحالة المزرية لأحوال الشعوب السياسية والاجتماعية، كنتيجة لتدهور القيم الخلقية والمبادئ الإنسانية في العلاقات بين أفراد المجتمع الواحد وبين شعوب المعمورة عامة.

إن تعايش الأمم الذي هو رمز استقرار العلاقات الإنسانية والذي ينشده الحق سبحانه وتعالى بقوله: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم...﴾(الحجرات/13)، على أساس القيم الخلقية والإنسانية السامية أصبح بعيد التحقق بعد أن صار التمييز العنصري والجنسي ضاربا أذياله وبعد أن أصبحت العلاقات مبنية على العداء والتطاحن والتخلي عن كل المراسيم الخلقية من أجل تحقيق المطامع والمصالح على حساب الغير، وما السياسة العالمية اليوم سوى فنون من الخداع والتحايل على المبادئ ونقض للعهود وتمييز عرقي وجنسي مما لا يغيب على بال كل رشيد، وما هذا إلا مرآة ودليل على فساد العلاقات بين أفراد المجتمع الواحد الذي أصبحت تربطه مفاهيم بعيدة عن الروح الخلقية وتصبغه بأفكار تنم عن فساد الفطرة وسوء الخلق بين أفراده، فلا استقرار ولا محبة ولا سعادة، كيف لا وقد فسدت وتحللت وتفككت خليته الأساسية في بناء كيانه ألا وهي الأسرة.

إن الأسرة هي الأساس المتين الذي يدعم استقرار البناء الاجتماعي ويشيع فيه الأخوة وبذور المحبة والوئام حتى يؤمن سيره نحو أفضل الغايات والسبل، وإذا كانت هذه هي مكانة الأسرة في المجتمع فإن المرأة هي قلب الأسرة فإذا صلحت في أخلاقها ومقوماتها الشخصية والدينية وتكوينها صلحت الأسرة التي بها صلاح الأمة ولا ريب فهي كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم «الدنيا متاع وأحسن متاعها المرأة الصالحة» وإذا فسدت هذه المرأة بتخليها عن بيتها

وأسرتها وجهلت قيمتها الحقيقية ومكانتها في بناء كيان مجتمعها وتعلقت بأفكار براقة في مظهرها فارغة في محتواها ومردودها، فانغمست في الشهوات باسم الإباحية والحرية والمساواة، واتبعت الأهواء وبذلك تفسد الأسرة.

إذا فما مآل العالم بأسره إذا بقي على هذه الحالة؟ فلا ينكر أحدا أبدا إن كان له مثقال ذرة من رشد أن مآل الشعوب كلها بدون استثناء الدمار والخراب إذا لم تثب إلى رشدها حيث أنها فقدت مقوماتها الأساسية وصلاح خليتها الأولى ألا وهي الأسرة! مع العلم أن من إعجازه صلى الله عليه وسلم أنه قد أشار إلى كل ما هو واقع من أزمات وزيغ نتيجة سوء فهمنا للإسلام وانحرافنا عنه. وإذا كان الأمر كذلك، فما هو المخرج من ذلك المأزق الذي انحلت فيه بنية الأسرة، مع الفشل الذريع لجميع القوانين الوضعية عن علاج هذا المرض العضال، وما هو الخلاص وإلى أين المفر؟

فلا مفر إلا لله وإلى سفينة النجاة التي نقلت ركابها من العرب والعجم من الذل والهوان إلى العز والشرف، ونقلتهم من الظلمات إلى النور ومن الكهف إلى حياة السعادة والسيادة، وقد جعلهم الله يومئذ هداة مهتدين أنقذوا العالم وحملوا مشعل الحضارة وأرسوا قواعد العدل والمساواة وأقاموا دولة الرحمة والوئام بفضل القرآن الذي لا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد في أي زمان ومكان، فلا دولة إلا دولتهم ولا عز إلا عزهم ولا راية إلا راية كتاب رب العالمين. كان كل هذا يوم أن تمسكوا بالإسلام الذي سن لهم سنن الحياة الفاضلة وأقام على كل سنة حارسا من التشريع حماية وحفظا من الانحلال.

كيف لا والإسلام يحرص على اللبنة الأساسية التي بها يبنى كيان المجتمع ويشيد بها صرح الأمة وهي الأسرة، ولهذا نرى كيف اعتنى الإسلام بالأسرة وكيف أسس لبنائها ولحماية مقوماتها:

فأولا/جعل قيام الأسرة على الاختيار للزوجية وعلى الحب واحترام الرابطة بحسن المعاملة بين الزوجين حيث أوجب استشارة الثيب والبكر وإذنهما معا في الزواج وقال تعالى في سر الزواج من حب وسكينة ومودة: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾(الروم/20). وفي حسن العشرة الزوجية قال صلى

الله عليه وسلم «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي».كما أعطى الإسلام للمرأة الحرية للتصرف في مالها وأقرها على حمل إسم عائلة أبيها تثبيتا لشخصيتها.

ثانيا/ إن الإسلام نفّر من كل ما يؤدي إلى خلل أو اضطراب لهذه العلاقة وما ينجم عنه من ضياع وتشريد لأفراد الأسرة، ورغب في كل ما يوطد سلامة هذه الرابطة بقوله تعالى: ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصالحا بينهما صلحا والصلح خير﴾(النساء/127)، وقال أيضا: ﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما﴾(النساء/35). ثم إنه قد احترم عواطفها في إضافة زوجة أخرى بشرط العدل والمساواة والمصلحة الاجتماعية.

كما حذر من اللجوء إلى الطلاق الذي هو أبغض الحلال إلى الله إلاّ عند الضرورة القصوى التي لا يمكن أبدا أن تقوم عندها المودة والرحمة التي هي أساس بناء الأسرة. والذي يلاحظ في نظام الطلاق يرى أنه كان على مراحل لتكون تلك الفترات فرصة للطرفين ليفكرا في مصيرهما وعاقبة القرار المتخذ من أحدهما أو كلاهما، وحدد لهذه المرحلة قوانين لتلاف ضرر الطرفين وخاصة المرأة فأوجب عليها العدة كما أوجب لها النفقة والكسوة والسكن.

ثالثا/ أوجب تربية الأبناء ثمرة الوالدين تربية عفة وطهارة وحذق وفطانة ليكونوا صالحين بارين بوالديهم ولصالح أمتهم.

وفقنا الله إلى ما فيه خيرنا وخير أسرنا الذي به سعادتنا وأعاذنا من شر فساد أسرنا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

الشيخ الطاهر بدوي